الفصل العاشر

فسيولوجية الأعضاء التناسلية وسيكولوجية الجنس

(راجع هذا الفصل الدكتورة الأخصائية
«فاطمة السّكاف» جزاها الله خيراً)

توجيه وإرشاد:

للدكتورة الفاضلة «الأخت: فاطمة السكاف»
أخصائية بأمراض النساء والتوليد وجراحتها

قالت حفظها الله تعالى:

الشهوة الجنسية جزءٌ من تركيب النفس الإنسانية، خلقها الله تعالى لحفظ النوع، قال الله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ﴾[1].

والإسلام لا يستنكر الشهوة الجنسية أو يستقبحها، ولكن ما يستنكره الإسلام أمرين:

١ - تصريف الشهوة بطريق الحرام.

٢ - المبالغة والإسراف ولو بطريق الحلال.

وقد عالج الإسلام قضية الشهوة الجنسية بطريقتين لا تغني أولاهما عن الأخرى:

١ - الزواج المبكّر.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤.

٢ - تقوية باعث الدين، وإضعاف باعث الشهوة، من أجل تقوية «باعث الدين» أوجب التربية الدينية منذ الصغر، وغرس خلق الحياء في نفس الطفل، كما فرض العبادات والعمل منذ سن البلوغ، ومعلوم أن تحمّل المسؤولية يجعل الروح الإنسانية تتسامى فوق شهواتها. . وقد قال أحد المفكرين: «إنّ نقص الإحساس بالواجب يؤدي إلى تفتّح الشهوة الجسدية». كما أوجب الإسلام مراقبة الولد، واختيار الأصدقاء الصالحين.

ومن أجل إضعاف باعث الشهوة: أوجب الإسلام غضَّ البصر ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ. . .﴾[1]، ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ. . .﴾[2].

ويتبع ذلك عدم النظر إلى العورات، وعدم مشاهدة الأفلام الماجنة، أو المجلات المثيرة.

كما فرض الإسلام الحجاب، ومنع الاختلاط.

إن إضعاف الشهوة يستوجب مجاهدة النفس من أجل الكفّ عن المحارم، ومن أجل الالتزام بالطاعات. قال أحد العارفين: «لا نوم أثقل من الغفلة، ولا رقّ أملك من الشهوة، ولولا ثِقَل الغفلة ما ظفرت بك الشهوة» وقال أحد العارفين: «لا تزول الشهوة إلا بشوق مقلق، أو خوف مفزع».

وهناك تعليمات طبية تساعد على إضعاف باعث الشهوة:

١ - الإكثار من الحمامات الباردة صيفاً، وعدم النوم في غرفة دافئة شتاءً.

٢ - عدم الإكثار من البهارات والتوابل.

٣ - عدم الإكثار من المنبّهات كالشاي والقهوة.

٤ - عدم الإكثار من اللحوم والبيض، والعسل.

٥ - عدم النوم حاقناً.

---

(١) سورة النور، الآية: ٣٠.

(٢) سورة النور، الآية: ٣١.

٦ - عدم النوم على البطن.

(وهذا موجّه للشباب والشابات قبل الزواج، أما بعد الزواج فالشأن مختلف...).

وبعد هذه التوجيهات والإرشادات نأتي إلى بيان أبحاث هذا الفصل...

المدخل إلى أبحاث فسيولوجية الأعضاء التناسلية وسيكولوجية الجنس(١)

من بدائع نعمة الله تعالى أن خلق من «الماء» بشراً فجعله نَسَباً وصهراً(٢) وفرض على عباده (أي قدّره قدراً كونياً فجعله غريزة متأصلة في أصل الفطرة البشرية) شهوة الجنس، فاضطرهم بها إلى التناسل والتكاثر طوعاً أو كرهاً، ثم عظّم سبحانه أمر النَّسَب وجعل له قدراً، وحرّم الزّنا والبغاء وجعله من أقبح القبائح ووضع له عقوبات ردعاً وزجراً... ورغّب في النكاح «الزواج» وحثَّ عليه بكل وسيلة بدءاً من الأنبياء عليهم السلام حتى أدنى البشر قدراً، وبثَّ بذور النطاف في أرحام الأمهات بعد النكاح لحفظ النسل جبراً تنبيهاً على أن بحار المقادير فياضة على العالمين نفعاً وخيراً.. وطيًّا ونشراً...

إن الحياة الجنسية التناسلية «لدى الزوجين» سرٌّ عظيم من أسرار الله الكبرى في حياة مخلوقاته، ولقد أرشدنا الحق سبحانه إلى ذلك في كتابه الحكيم، وأمرنا أن نمعن الفكر والنظر فيها بلفتات كريمة في آياته المحكمات، فقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾﴾(٣). ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم

(١) الفسيولوجيا: علم الوظائف.. والسيكولوجيا: علم النفس.

(٢) من تقديم للدكتور عبد الرؤوف عباس لكتاب: «فيزيولوجيا العلاقة الجنسية» للدكتور محمد صالح الأصيل، بتصرّف يسير.

(٣) سورة النجم، الآيتان: ٤٥، ٤٦.

مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا﴾[١]. ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾[٢]. ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾﴾[٣].

ونحن إذا أردنا أن نُمعن النظر ونُجوّل الفكر في بعض ما جاء في كتاب الله سبحانه، وعلى لسان رسوله صلوات الله عليه، مما يتعرض للحياة الجنسية التناسلية؛ نجد أن الله ﷻ قال في محكم كتابه: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ﴾[٤]. وقال: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[٥]. وهذا منع من العَضْل ونهي عنه (والعضل: منعُ الأيِّم من الزواج ظلماً) وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً﴾[٦]. فجعل من سُنن الأنبياء الزواج. ومدح سبحانه أولياءه بسؤال ذلك في الدعاء فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾[٧].

والرسول ﷺ قال: «**يا معشرَ الشبابِ مَنِ استطاعَ منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغضُّ للبصر وأحصن للفرج، ومَن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وِجاءٌ**»[٨].

وقال ﷺ: «**مَن رغب عن سُنّتي فليس مني**» لمن قال من أصحابه: لا أتزوج النساء؛ فأجابه: «**لكنّي.. أتزوج النساء، فمن رغب عن سنّتي فليس مني**»[٩].

وفي هذا تهديدٌ ووعيدٌ لمن ترك الزواج وهو قادر عليه بماله وصحته.

---

(١) سورة فاطر، الآية: ١١.
(٢) سورة الإنسان، الآية: ٢.
(٣) سورة السجدة، الآيات: ٧ - ٩.
(٤) سورة النور، الآية ٣٢.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٣٢.
(٦) سورة الرعد، الآية: ٣٨.
(٧) سورة الفرقان، الآية: ٧٤.
(٨) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب النكاح ٦٧ باب من لم يستطع الباءة فليصم، الحديث ٥٠٦٦، وأخرجه مسلم في صحيحه رقم ١٤٠٠، والباءة: الجماع. والوِجاء: كَسر الشهوة والحدّ من هيجانها.
(٩) رواه مسلم في صحيحه رقم ١٤٠١.

وقال ﷺ: «**الدنيا متاعٌ، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة**»[١].

والأصل في الزواج استمتاع الزوجين بالجماع، ويتحقق به شيئان: أحدهما حفظ النسل. والثاني إزالة الاحتقان. وقد جعل الله سبحانه من ورائه حصول اللّذة وإشباع الغريزة؛ ليحثّ الكائن الحي على استعماله.

إن الحقّ تبارك وتعالى وضع سراً عظيماً في الحياة الجنسية التناسلية، فإذا لم يدرك البشر وظيفتها وقيمتها العظمى، وخرجوا فيها عن حدود ما سَنَّه الخالق العظيم؛ دخلوا مداخل الشقاء والهلاك، فكم تهدمت دول وأمم وشعوب لسوء تفهمها وظيفة هذه الحياة، فانحطت من أوج رفعتها، وتحطمت بعد سمو مكانتها، وفسدت بعد صلاحها، وإنّ التاريخ لشاهد عيانٍ، وحسبنا ما الحال عليه في عصورنا الأخيرة، وعلى الأخص بعد اكتشاف مرض عدم المناعة المكتسب «الإيدز».

إن استعمال هذه الوظيفة باعتدال وضمن إطار الخلق القويم، والدين الحنيف؛ ينبوع الحياة، والفوضى فيها خروج عن ناموس الحياة، وكل خروج عن هذا الناموس محتوم عليه بالعدم، وأملنا أن يتفهم شبابنا هذه الحقيقة قبل أن يأتي حين تضعف فيه الأبصار، وتخور القوى، وترجف الأيدي، وتغور الصدور، وتحدودب الظهور.. حيث لا يفيد الندم...

(وبعد: إن أبحاث هذا الفصل للتثقيف والإرشاد، وليست للإثارة والإفساد، فهذه الإشارة لمن يطّلع عليها من الشباب والشابات قبل الزواج، هي للمتزوجين والمتزوجات معلومات هامة لواقع الحياة الزوجية).

---

(١) رواه مسلم في صحيحه رقم ١٤٦٧.

البحث الأول:

العلاقة الجنسية بين الزوجين
وما يعقبها من وظائف بيولوجية واجتماعية

إن العلاقة الجنسية بين الزوجين من أخص أنواع المشاركة الإنسانية بين البشر، إنها تمتاز بخصائص فريدة من بين سائر العلاقات البشرية.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

إن الحياة الجنسية بين الزوجين تشمل نواحي الوجود الإنساني: الروح والنفس والجسد، فتوحّد بينها في وظيفة واحدة، هي من خير الوظائف الإنسانية.

ولذلك كانت المشاركة الجنسية كاملةً تامة في «الزواج» لاكتسابها الديمومة والاستمرار، وآثار البقاء من الذرّية «من البنين والحفدة» ولن يتحقق هذا بغير الزواج الذي شرعه الله تعالى لعباده.

فالاتصال الحرام بين الرجل والمرأة له آثار سلبية موحشة، وآلام نفسية خطيرة؛ فإن كان بسبب حبّ بينهما فإن هذا الاتصال المؤقت المحفوف بمخاوف الفضيحة لن يجعلهما يحظيان بسعادته. وإن كان بسبب تفريغ لطاقة الغريزة والشهوة، فإن كلاّ من الرجل والمرأة في بحث مستمر لتجديد الشريك لقضاء هذا الوَطَر المتدنّي، وهذا ليس فيه من آثار السعادة النفسية إلا بمقدار الوقت الذي انقضى ومضى مع ذلك اللقاء الحيواني الذي انعدمت فيه الروابط الإنسانية الكريمة.

وأخطر ما في الاتصال الجنسي المحرّم، ما يترتب عليه من عدم الاعتراف بحق ما يتولّد منهما، فالرجل سرعان ما يبادر إلى إنكار هذا المولود أن يكون منه،

---

(١) سورة الروم، الآية: ٢١.

لما يعلم من هذه المرأة التي طاوعته في الحرام، أن تكون مطاوعة لغيره منه.

والمرأة أمام هذا ليس لها خيار إلا بين أمرين: إما أن تحمل هذا المولود بعاره وشناره، وإما أن تلقيه في طريق العامّة ليلتقطوه.. وهي في هذا تقدم لمولودها بالحرام حرماناً أبدياً من عطف الأبوين ورعايتهما الحانية الرحيمة، إضافة إلى حرمانه من النسب الذي يفتخر به كافة البشر، وفوق ذلك حرمانه على طول الحياة من القرابة العصبية والقرابة الرحمية، فلا أبَ له ولا جدَّ ولا أعمام ولا جدة ولا عمات، ولا خال له ولا خالات، فهو مقطوع أبتر.

وهنا يتوجه السؤال إلى أصحاب هذه الجريمة النكراء: ما الذي جناه هذا المولود لينال كل هذا الحرمان الجائر؟ فهل من مجيب؟ كلا! لأن الإنسان إذا فقد كرامته وشرفه وعرضه، فلن يستطيع أبداً أن يمنح ذلك لأحد حتى ولو كان متولّداً منه تولداً غير شرعي.

وهنا نستشعر عظمة قول ربنا تبارك وتعالى في تحريمه للفاحشة حيث يقول: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾[1].

وقوله تعالى في رفع شأن الزواج وقيمته: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَٰتِ﴾[2].

ومن هنا يتوجب علينا فهم العلاقة الزوجية الكريمة المباركة الباقية المستمرة، التي يتوّجها «الدافع الجنسي» أو «العشق الجنسي» بين الزوجين.

إن الغريزة الجنسية لدى الزوجين خاصة تشبه غريزة الإشباع العضوي في الجسم البشري، بل ترتبط بها ارتباطاً وثيقاً، فالجوع والعطش عاملان أساسيان في إرواء الجسد وتغذيته، فلا يمكن استمرار حياة الإنسان بدونهما، وإن الغدد التي يتعلق بها النمو الجنسي لدى الرجل والمرأة متعلقة بالإشباع العضوي في الجسد، الذي يُعتبر ضرورياً لاستمرار الحياة، وهذا ما يضطرنا إلى تزويد الجسد بالكميات اللازمة والهامة من الغذاء.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٣٢.
(٢) سورة النحل، الآية: ٧٢.

ومن هذا الغذاء تتكوّن في الجسم طاقات حرارية يجب صرفها في الاتجاه الصحيح والسليم في الحياة المعيشية، فكان من ذلك العمل والسعي في طلب الرزق، فالطاقة تُولّد الحركة، والحركة تولّد الكسب لجلب الرزق.

ومن الطاقة المتولّدة من الغذاء «الطاقة الجنسية» المستوجبة للصرف الصحيح المتزن، ولا سبيل لذلك إلا بـ«الزواج».

وإن شهوة الغريزة الجنسية عبارة عن إحساسات بالمثيرات المتعلقة بذلك، وهي تحقق ميول الرجل إلى المرأة، وميول المرأة إلى الرجل. وهذا ما يدفعهم إلى التزاوج وإن أرادا اختيار السبيل السليم لذلك.

فبالزواج يستمتع كِلاَ الزوجين بشهوة الغريزة الجنسية في حياة ملؤها الحبّ والمودة والعطف والحنان.

والإنجاب، والذي بدونه تتعطل أكبر جوانب العطاء لديها، فإذا فاتتها الفترة الزمنية الزاهرة لتحقيق ذلك، وجدناها ذابلةً خاملةً لم تزود أحداً بشذى الحياة.

وعلى العكس تماماً نجد المرأة المتزوجة قد تبوّأت منزلةً عالية لدى زوجها، ومكانةً سامية لدى أبنائها.

إنها بزواجها أتحفت زوجها بسعادة الأبوّة، وأطفالها بأريج البنوّة، وقدمت للحياة زهور بشرية متفتحة من جديد.

كما أتحفت نفسها بأغلى أمنية لدى نساء العالمين؛ بأن نالت شرف الأمومة التي هي مدرسة الحياة الأولى، والخالدة. وفي هذا قال أحد الحكماء: وراء كل عظيم «امرأة». نعم! هي الأم التي ولدت ثم ربّت ثم أنشأت رجالاً عظماء.

وهنا نستشعر عظيم شأن الأم في قول رسول الله ﷺ حين سأله أحد أصحابه: مَن أحقُّ الناس بحسن صحابتي؟ قال: (**أمك**)! قال: ثم مَن؟ قال: (**أمك**)!! قال: ثم مَن؟ قال: (**أمك**) قال: ثم مَن؟ قال: (**أبوك**)[1].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم ٥٩٧١، ومسلم في صحيحه رقم ٢٥٤٨.

ويُعرّف أحد الأطباء بعض الحالات التي تدل بصورة مدهشة على أن اللذة الجنسية وثيقة الصلة لدى المرأة بالوظيفة البيولوجية[١].

ولقد سمعنا عن نساء متزوجات كنّ يعشنَ الحياة السعيدة في حياتهم الجنسية خلال سنوات الإنجاب، فلما علمن بأنهن لا يمكن أن ينجبن أطفالاً أصبحن باردات جنسياً، لخلو اللقاح من الفاعلية في الميدان البيولوجي..

وإلى هذا يمكن عزو البرود الجنسي لدى الزوجات اللائي يئسن من الإنجاب، وذلك في سن الخمسين فما فوق. على أن كثيرات من المتزوجات يرغبن في الجماع في سن الإياس، لفراغ أفكارهن من الحمل والولادة والإرضاع، وما يصاحب ذلك من عناء..

والعنصر الثاني الانفعالي من الحياة الجنسية هو «الحب».

إن الحياة الزوجية حقل زاهر وروضة غنّاء بأريج الرابطة الدائمة والمستمرة بين الزوجين، التي تحفل بالنشاط والحيوية والعطاء.

ولا أصدق من قول رسول الله ﷺ في ذلك: «**لم يُرَ للمُتَحَابَّين مثل الزواج**»[٢]!.

فالزوجان المتحابان يشعران حين يستيقظان من نشوتهما أنهما قد تجدّدَا وبُعثا من جديد، وإذا بهما ينظران إلى بعضهما كأنهما في ليلة الزفاف يرشفان من غدير الحب المتدفق عبر حناياهما، وهما يشدوان ألحان الصدق والوفاء.

وإن الحب الصادق الذي يتأجّج مع لمسات اللقاء الجنسي يفيض عليهما صبغةً فريدة من النشوة في السعادة الزوجية.

وإن الدافع الجنسي والحب في طبيعتهما يربطهما بعلاقة متبادلة، تجعل كلاً منهما يتعلّق بصاحبه من غير كَلَلٍ أو مَلَل.

---

(١) البيولوجيا: علم الكائنات الحية، ويتضمن علم الخلايا والأنسجة والتشريح.

(٢) رواه ابن ماجه في سننه رقم ١٨٤٧، ورواه التبريزي في المشكاة ج ٢/ ٩٣٠، رقم ٣٠٩٣، وذكره الشيخ ناصر الدين في صحيح الجامع الصغير وزيادته رقم ٥٢٠٠.

وعلى هذا فإن العلاقة الجنسية الصِّرفة بين الزوجين، والتي تُهمل فيها رابطة الحب الصادق، هي علاقة شهوانية بحتة، سرعان ما تندثر آثارها، وتنعدم معطياتها.

فكان على الزوجين لزوم تصعيد مراحل الحب عن طريق العشق الجنسي فيما بينهما، لإقامة حياة زوجية متكاملة ملؤها المودّة والحنو والألفة.

البحث الثاني:

آداب الاتصال الجنسي بين الزوجين[1]

● المداعبة:

من سنن الإسلام مداعبة الزوجة. والمرح معها وملاعبتها، فقد كان رسول الله ﷺ يمزح مع نسائه، وينزل إلى درجات عقولهن في الأعمال والأخلاق حتى روى النسائي وأبو داود وابن ماجه أنه كان يسابق عائشة في العدو؛ فسبقته يوماً. ثم سبقها في بعض الأيام فقال: «**هذه بتلك**».

وقال عمر الخطاب - بالرغم من خشونته المعروفة - ينبغي للرجل أن يكون في أهله مثل الصبي، فإذا التمسوا ما عنده وُجِد رجلاً.

وفي الصحيحين من حديث جارية بن وهب الخزاع «**ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتلّ جوّاظ مستكبر**». وفي رواية لأبي داود: «**لا يدخل الجنة الجوّاظ ولا الجعظري**» أي الشديد على أهله، المتكبر في نفسه، وفي حديث النبي ﷺ لجابر: «**هلاَّ بكراً تلاعبها وتلاعبك**».

ولكن التوسط في المداعبة خير، كالتوسط في كل الأمور ويستحب أن يبدأ باسم الله تعالى، ويقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[2] أولاً، ويكبر ويهلل. ويقول:

---

(١) المرأة في التصور الإسلامي: لعبد المتعال محمد الجبري (٧٥) ط. مكتبة وهبة - القاهرة.

(٢) سورة الإخلاص، الآية: ١.

باسم الله تعالى العلي العظيم، اللَّهم اجعلنا ذرية طيبة إن كنت قدرت أن تخرج ذلك من صلبي.

وقال ﷺ فيما يرويه الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما: «**لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: اللَّهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا. فإن كان بينهما ولد لم يضرّه الشيطان**».

وإذا قربت من الإنزال فقل في نفسك ولا تحرك شفتيك «الحمد لله الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديراً».

ثم ينحرف عن القبلة ولا يستقبل القبلة بالوقاع إكراماً للقبلة.

ثم إذا قضى وطره فليتمهل على أهله حتى تقضي هي أيضاً نهمتها. فإن إنزالها ربما تأخر فيهيج شهوتها.. ثم القعود عنها إيذاء لها: والاختلاف في طبع الإنزال يوجب التنافر مهما كان الزوج سابقاً إلى الإنزال. والتوافق في وقت الإنزال ألذ عندها، وليشتغل الرجل بنفسه عنها فإنها ربما تستحي.

ولا يأتيها في المحيض، ولا بعد انقضائه وقبل الغسل، فهو محرم في القرآن والسنة.

والعلم الحديث أثبت أضراراً جسيمة تتعرض لها المرأة والرجل إذا التقى ختاناهما في المحيض أو النفاس. كما أن إزالة غشاء البكارة قد يصحبه تسرب بعض الميكروبات إلى الدم، مما قد يؤدي إلى إصابة الصمامات التالفة بالالتهاب الخبيث وما جرى عليه العوام من إزالتها بالإصبع بوحشية عمل غير إسلامي.

قال الغزالي: «وله أن يستمتع بجميع بدن الحائض، ولا يأتيها في الدُّبُر فهو أشد تحريماً من إتيان الحائض» وقوله تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾[1] يعني أي وقت شئتم. وله أن يستمني بيديها. وأن يستمتع بما تحت الإزار بما يشتهي سوى الوقاع. «الجماع». وينبغي أن تتزر المرأة بإزار من حقوها «الخصر» إلى

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٣.

فوق الركبة في حال الحيض، فهذا من الأدب. وله أن يؤاكل الحيضى ويخالطها في المُضاجعة وغيرها. وليس عليه اجتنابها.

أقول: ويأثم من أتى امرأته في دبرها ولكنها لا تطلق، كما هو مفهوم العوام، ولم يخرج بعمله من الإسلام ما لم يستحل ذلك بعد علمه بالتحريم، بل هو مذنب عليه أن يستغفر الله. وفعله شذوذ في العلاقة الجنسية وعقوق لحق الأنثى.

ثم قال الغزالي: وإن أراد أن يجامع ثانياً بعد أخرى. فليغسل فرجه أولاً، تنشيطاً لنفسه. وإن احتلم فلا يُجامع حتى يغسل فرجه أو يبول.

«ومن الآداب ألا يعزل. بل لا يسرح إلا إلى محل الحرث، وهو الرحم، «فما من نسمة قدّر الله كونها إلا وهي كائنة» كما قال رسول الله ﷺ [1]: «**فإن عزل نفسه عند الإنزال فقد ضيع على نفسه ثواب الولد يربيه ليجاهد في سبيل الله**».

ومن الآداب استذكار ما يحب الرجل أن يكون له من زوجته، وما تحب المرأة من زوجها.

البحث الثالث:

القُبلات الحارة بين الزوجين هي لغة التفاهم بينهما

حديث بلغة الشفاه يترجم عن دفين العواطف، ومكنون الأحاسيس وتوقيع بالشفاه الأولى على ميثاق الشوق ومعاهدة المحبة..

وهمزة وصل بين قلبين متحابين.. تلك هي القبلة. وقبلة الزوج لزوجته

---

(١) الحديث من رواية جابر: «اعْزِلْ عنها إن شئت، فإنه سيَأتيها ما قُدِّر لها» أخرجه مسلم في صحيحه، مختصر مسلم للشيخ ناصر برقم ٨٣٤.

وهي القبلة التي أولاها الإسلام عنايةً بالغة، فقال ﷺ: «**لا يقعنّ أحدكم على امرأته كما تقع البهيمة، وليكن بينهما رسول**. قيل: وما الرسول يا رسول الله؟ قال: **القبلة والكلام**».

والرسول بذلك الحديث الاجتماعي النفسي يقنن مبدأ من أهم مبادئ الحياة الجنسية العملية القويمة.. فلا بد للنتيجة من مقدمة وللغاية من وسيلة وطريقة، وأول طريق للتجاوب الجنسي السعيد، قبلاتٌ وكلماتٌ، وهمسات تهيئ الجسد... وتوحّد الرغبة.. وتوصّل للامتزاج والتجاوب الحق، والعملية الجنسية إذا كان فيها تجاوب ووفاق حجبت كلَّ ما يقف في طريق الحياة الزوجية من عقبات، وذلّلت كلَّ صعب، وسارت سفينة الحياة الزوجية ثابتة وسط الأنواء والأعاصير..

أما إذا انعدم التجاوب جدّت المشاكل ووجدت المشاكسات والمنازعات وكثير من المشاحنات والاهتزازات الأسرية، ولا سيما في بدء الحياة الزوجية، مردّها إلى اضطراب الحياة الجنسية.. فكم من أسر تقوضت، لأن التوافق الجنسي والتكافؤ الجسدي معدوم بين الجنسين، أو لأن معاشرتهما الجنسية قائمة على الفوضى وعدم الانسجام.. فلا وسائل ولا مقدمات، بل قَسْرٌ، وتوحشٌ واغتصاب أو أنانية؛ يقضي الرجل وطره من زوجته ويتركها قبل أن تقضي وطرها منه مخالفاً بذلك قول الرسول ﷺ: «**إذا جامَعَ أحدكم أهله فليَصْدُقها.. ثم إذا قضى حاجته قبل أن تقضي حاجتها فلا يعجلها حتى تقضي حاجتها**».

وملاعبة الرجل امرأته من أهم المسائل التي عني بها علماء فلسفة التناسليات في العصر الحديث، ووضعها الإسلام قبلهم بأكثر من ثلاثة عشر قرناً، وذلك لتنبيه الغافلين إلى أمور تتحقق بها السعادة الزوجية، وتزكو بها نار الحب عند الزوجة وتجعل العلاقة بين القرينين أرفع من أن تكون مجرّد عمل آلي بعيد عن العطف والمودّة، عارٍ من الحب والحنان. قال جابر بن عبد الله: نهى رسول الله ﷺ عن المواقعة قبل الملاعبة».

والقبلة الزوجية عند الفراق ولدى اللقاء، ليست وليدة المدنية الحاضرة، ولا نابعة من عادات الغرب، إنما هي تقليد إسلامي حرص عليه كُثر من المسلمين الأوائل، وبخاصة بعد أن جعل الإسلام القُبلة لا تفسد صوماً ولا تنقض وضوءاً. قالت عائشة: «كان رسول الله ﷺ ينال مني القبلة بعد الوضوء، ثم لا يعيد الوضوء». وكذلك قالت أم سلمة زوج الرسول أنه كان يُقبِّلها وهو صائم ثم لا يفطر ولا يجدد وضوءاً.

قال عمر بن الخطاب: هششت فقبّلت وأنا صائم، فقلت، يا رسول الله، صنعت اليوم أمراً عظيماً فقبّلت وأنا صائم. فقال ﷺ: «**أرأيت لو مضمضت من الماء وأنت صائم؟**» قلت: لا بأس. فقال صلوات الله عليه وسلامه: «**فمه؟!**».

آداب المرأة في غريزتها الجنسية

حياء المرأة الذي تتلقاه من الطبيعة أنها تخجل من مفاتحة الرجل بدوافعها الجنسية، وتنتظر المفاتحة من جانبه، وإن سبقته إلى الحب والرغبة. وشأنها في ذلك كشأن جميع الإناث في جميع أنواع المخلوقات، فإنها تنتظر ولا تتقدم، أو تتعرض ولا تهجم، ويمنعها أن تفعل ذلك مانع من تركيب الوظيفة لا يصدر عن وزاع أخلاقي، ولا عن أدب من آداب السلوك. إذ كان مانعاً يتساوى فيه الحيوان العاقل وغير العاقل، كما يتساوى فيه النوع الذي ينقاد للغريزة وحدها، والنوع الذي يُرَاض على سنة من سنن الحياة الاجتماعية.. فإنما خلق تركيب الأنثى للاستجابة ولم يخلق للابتداء والإرغام، وسرّ هذا الخلق أن تزويد الأنثى بوظيفة الابتداء والإرغام عبث مضيع لغاية النوع، متى شغلت بالحمل والرضاع، كما تشغل بهما حسب استعدادها في معظم الأوقات[1].

وهذا الحياء الطبيعي لا يحسب من القيم الخلقية التي تزيدها المرأة،

(١) المرأة في القرآن: لعباس محمود العقاد (٣١) ط. دار الهلال - مصر.

وتمليها على نفسها وعلى غيرها، ولكنه عمل من أعمال التكوين يصطبغ بالصبغة الخلقية، كلما وافقت آداب الاجتماع.

وإنما يحسب من القيم الخلقية ذلك الحياء الذي تمليه الآداب، ويتصل بالإرادة والاختيار، لا فرق في ذلك بين الإرادة الجامعة وإرادة الأفراد المتفرقين.. وهذا الحياء الذي تمليه الآداب تدين به المرأة على قدر اتصاله بشعور الرجل نحوها ونظرته إليها، فإذا اجتمعن النساء معاً بعيداً عن أعين الرجال، نسينه ولم يكترثن له، ولم يبالين شيئاً مما يبالينه وهن بأعين الرجل في المحضر والمغيب.

فالمرأة لا تتوارى عن المرأة في الحمام، ولا يعنيها أن تستر عضواً من أعضائها[١]، إلا أن تستره مداراة لعيب وخوفاً من منافسة النظائر والأتراب، ولم يعهد في الحرائر الخفرات إنهن في الأمم التي استخدمت الخصيان كن يحجمن عن مسّ الرجل لهن واطلاعه على أعضائهن وهن عاريات، ويسوغ للنساء أن يذهبن معاً إلى ضروراتهن، ولا يسوغ ذلك في عرف الرجال، إلا من تكرههم عليه الطوارئ في غير المعيشة المعتادة.

البحث الرابع:

توجيه العلاقة الجنسية بين الزوجين[٢]

لم يهمل الإسلام التعرف لعلاقة الغريزة بين الزوجين، فهي هدف من أهداف الزواج، لا ينبغي إغفاله أو تجاهله.

---

(١) وفي الحديث الذي أخرجه الترمذي والحاكم عن جابر أن رسول الله ﷺ قال: «... **ومَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يُدخِل حليلته الحمَّام**...» صحيح الجامع الصغير رقم ٦٥٠٦.

(٢) الأسرة في الإسلام، عرض عام لنظام الأسرة في ضوء الكتاب والسنة: للدكتور مصطفى عبد الواحد (٦٦ - ٦٩) ط. مكتبة المتنبي. القاهرة.

وجملة يصور الإسلام علاقة الغريزة الزوجية تصويراً عاماً يوحي بالامتلاك والتمكن، واستطاعة الإشباع كلما أريد.

يقول الله سبحانه: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾[١]. ليشعر المرء أنه لا حجر ولا تقييد، فهو قد حبس نفسه عن الخطيئة وكفَّها عن الفاحشة، وابتغى الحلال الطيّب بالزواج، فلا حائل بينه وبين ما يملك ويحوز.

وهذا كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦﴾[٢].

فهنا لا لوم ولا كبت ولا تضييق.

بل لقد اهتم القرآن بدفع شبهة كان يُذيعها اليهود في المدينة تضيّق على الناس في بعض صور الملاقاة. وذلك قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾، كيف شئتم بعيداً عن الشذوذ.

وأيضاً صوَّر القرآن علاقة الغريزة وأثرها بين الزوجين، بقوله: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾[٣] وهذا أوسع مدى للامتزاج والائتلاف.

أما الحق والواجب في هذا المجال فقد بينه الإسلام. فإن على الزوجة أن تستجيب لزوجها، ما دامت في حال لا تمنع من ذلك شرعاً..

قال رسول الله ﷺ: «**إذا باتت المرأة هاجرةٌ فراش زوجها لعنتها الملائكة**» رواه الشيخان. ولا يحل لها أن تفوّت على زوجها قصده وتحول بينه وبين رغبته فتزج بنفسها فيما يمنعه منها، بلا ضرورة، حتى في مجال العبادة النافلة إلا بإذنه؛ «**لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه**» رواه الشيخان وأحمد. ورَبْط الأمر بالإيمان بالله واليوم الآخر يدل على مدى اهتمام الإسلام بتنظيم العلاقة بين الزوجين. وعليها أن تبدو لزوجها في أجمل حال يحبها الرجل من المرأة.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٣.
(٢) سورة المؤمنون، الآيتان: ٥ - ٦.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

كي تكون كما ذكر الحديث: «**وإن نظر إليها سرَّته**»، وعلى الرجل لزوجته في هذا المجال حق. فعليه إعفاف زوجته وتلبية رغائبها، فإنه يعجبها منه ما يعجبه منها، وللمرأة غريزة كما للرجل.

وليس له أن يضارّها بالحرمان، ففيه تضييع حقها. روى البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا عبد الله ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل**»؟

قلت: بلى يا رسول الله.

قال: «**فلا تفعل. صم وأفطِر، وقُم ونَم، فإن لجسدك عليك حقاً، وإن لعينك عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حقاً**».

فقد ذكر في هذا حق الزوجة «وأنه لا ينبغي له أن يجهد نفسه في العبادة حتى يضعف عن القيام بحقها» وبهذه القواعد والأحكام يتحقق للزوجين تلبية الغريزة وإشباعها في إطار الزوج.. فالحمد لله الذي جعل في الحلال ما يُغني عن الحرام.

البحث الخامس:

الحوافز الجنسية لدى الزوجين

إن الحافز الجنسي الأول في الزوج ذي القوة البدنية والاستعداد الطبيعي في الغدة الصماء إنما هو حافز عقلي واستجابة لإمكانية أو تذكّر الجماع أو رؤية مثيرة للشهوة، ويُسمى هذا أحياناً «إثارة المراكز العليا».

وتنتقل النبضات في نفس الوقت من المخ إلى المركز العصبي الذي يسيطر على الانتصاب لدى الزوج، وعلى التهيّج لدى الزوجة، في الانتفاخ القطني من حبل النخاع الشوكي، وتمضي النبضات في مجموعة متشابكة معقّدة من الأعصاب والغدة الليمفاوية والعضلات حتى تصل إلى عضويّ الزوجين، ويندفع

الدم إلى الحوض الإسفنجي للقضيب عند الزوج بسرعة أكبر من تدفقه عند خروجه منه، ويبدأ القضيب عند الزوج والبظر عند الزوجة، في الانتفاخ والحساسية الشديدة والانتصاب لدى الزوج ثم يسرع فيما بعد أثناء العملية الجنسية بالاستجابة إلى الإحساس البدني المباشر، ولكن العوامل النفسية في المراحل الأولى من الانتصاب لدى الزوج هي أهم العوامل في العملية الجنسية التي يرغب فيها الزوجان عند الجماع.

ويزيد من هذا الانتصاب في المهبل الاحتكاك الناجم عن عملية الإيلاج عند الزوجة فحالة اللذة الجنسية عند الزوجة أصعب وصفاً مما هي عند الزوج، وطريقتها أكثر تعقيداً، فالزوجة السريعة التهيج يمكنها أن تصل إلى ذروة اللذة بضع مرات قبل وصول زوجها إلى ذورة لذته.

إن الزوجة بحاجة ملحة إلى تهييجها بشكل متقن، فالأعضاء التناسلية عندها تتوتر طويلاً، والنفس والعقل يستمر توترهما دون ارتخاء، ويستمر الانبساط والتلهف دون انقطاع.

إن الزوجة تتأثر جنسياً نتيجة تأثر المخ في فترة التمهيد الجنسية، فتتنبه الأعصاب الحسية الكثيرة التشابك في البظر تنبيهاً آلياً بالملامسة، أو نتيجة التأثر النفسي بالمهيجات الجنسية، ويؤدي ذلك إلى تفتح الأنسجة في أعضائها التناسلية، فتمتلئ بالدم الوارد إليها ينتصب البظر بعض الشيء، وتبرز قمته لتتلقى مزيداً من الإثارة بالملامسة ويزداد التهيج.

وتنشط غدد «سكن وبارتولان» فتفرز مادة شفافة رقيقة ولزجة تفيد في تليين الفرج لعملية الإيلاج. وتحيط بثغر الفرج فتحة المهبل، وهي تزيد مشاعر الاستمتاع لدى الزوجين، وتتضخم أعضاء الفرج وتبرز مستعدة للجماع، وينكمش النسيج العضلي المهبلي، وينبسط المهبل وتنفرج جدرانه بإيلاج ذكر الزوج، وتنقبض العضلات الخاصة بمجموعة العضلات الرحمية فتجذب الجزء الأسفل منه إلى أعلى وإلى خلف.

وتلعب العضلات دوراً معقداً يحتاج إلى تعاونها وانسجامها حالة الجماع،

فبعضها يحدث إرادياً وبعضها الآخر انعكاسياً، حتى أن هناك تشنجات تحدث أثناء بلوغ ذروة اللذة، وأهم الأمثلة عليها حركات الأجفان اشتداد حاسة الملامسة للشفتين، واشتداد حاسة الشم عند الزوجة، وهو أوضح عندها من الزوج، فإنها تزداد إرهافاً عند النشوة الجنسية. وكذلك تشتد حاسة اللمس وهو أمر ملحوظ أثناء التمهيد للجماع، ويزداد بالتدريج حتى يبلغ أشد درجات الإرهاف عند ذروة اللذة.

وإن انفعالات الرعشة الجنسية لدى الزوجين لتنسيهما كل شيء من الآلام النفسية والجسدية، فيعيشان أحلى لحظات الحياة بعيدَين كل البعد عن هموم الحياة ومتاعبها.

ومن هنا كان لقضاء هذه الشهوة لدى الزوجين آثار طيبة ومباركة على نفسيهما، فهي مجدّدة للنشاط ومنعشة للحياة، وصدق الله العظيم حيث يقول في محكم كتابه الكريم:

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

وتتسرع حالة التنفس لدى الزوج أكثر منها لدى الزوجة، وتتوتر الأعصاب وتشتد عضلات الجسم، ويرتفع الإحساس والتوتر إلى القمة، وعند درجة التهيّج القصوى يصل الإشباع الجنسي ذروته، عند ذلك يتم تفرغ تجمّع الطاقة الجنسية وتوتراتها في تقلّصات عضلية عنيفة وتهيّج عنيف، ويتم قذف المني.

وأما الحالة التي تكون عليها الزوجة عند الجماع فإنه تتهيّج الأعضاء النسوية لديها بالملامسة والإيلاج فتتلقى قدراً أكبر من الدم وتبدأ في التضخّم، وينفتح الشفران الخارجيان للفرج ويتباعدان، فيكشفان البظر والشفرين الصغيرين تحته، وأما الغدد فترطب الفرج بإفرازها الخاص اللزج الصافي الرائق.

---

(١) سورة الروم، الآية: ٢١.

ويحظى البظر لدى الزوجة بمعظم هذه المداعبات والملامسات، فهو العضو الذي يبرز في وسط الفرج الخارجي نتيجة تضخمه بتوارد الدم إليه، ولا يخطئ الإصبع في تمييز هذه النقطة المرهفة الحس أكثر من غيرها، ويزيد هذه الأحاسيس هذا العضو النسوي الدقيق. وينبسط المهبل وتنفرج جدرانه بعضو الزوج الداخل، وتنقبض العضلات الخاصة بمجموعة العضلات الرحمية المتهيّجة، فتجذب الجزء الأسفل منه إلى أعلى وإلى الخلف.

إن عضلات المهبل تنكمش أو تنقبض أو يتهيج الجدار البطني وعضلات الحوض فيهبط الرحم قليلاً من موضعه، وبذلك تقترب فوهة الرحم من السائل المنوي الذي يقذفه عضو الزوج، وأخيراً يكون الإفراز المتمدّد جاثماً عند عنق الرحم ليسهل صعود الحيوان المنوي إلى عنق الرحم ثم إلى بوق أحد المبيضين لتلقيح البويضة الناضجة هناك ثم العود إلى الرحم للاستقرار.

وإن لحظات التهيّج الجنسي قوية ولكنها قصيرة عند الزوج وأطول عند الزوجة، وعلى الفور تعود العضلات والأعضاء والغدد إلى حالتها الطبيعية. ويحل الاسترخاء والاستراحة محل الانفعال، ويملأ جوانب النفس سكينة الاستقرار، ومودة الحب، وطمأنينة المودة التي جعلها الله تعالى بين الزوجين.

وليست العملية الجنسية لدى الزوجين بالعملية السهلة، إنها عملية معقّدة يشترك فيها أغلب حواس الجسم، وينفق الجسم من خلالها طاقة كبيرة من الجهد والبذل، ولذلك كان على الزوجين الاهتمام بها والتحضير لها، وأن لا تكون على هامش الحياة والعُشرة الزوجية.

وإن على الزوجة أن تعلم أن الحافز الجنسي لدى زوجها أعظم قوة مما لديها، فإنها ترى زوجها بعد الجماع في شعور عميق بالتعب والإنهاك، قد يعقب ذلك نوم عميق، ولكن هذه الفترة إذا ما انقضت ونال الزوج راحته فإن من الممكن أن يرغب في المعاودة إلى الجماع مرة أخرى - وعلى الأخص بعد الاغتسال - وهذه المعاودة تكون أطول من الأولى، وهذه الحال تُغري الكثيرين من الأزواج لنيل حظ أكبر من اللذة والمتعة. وعلى هذا فإن الزوجة التي تنبذ

زوجها في هذه الحالة تعرّضه إلى حالة اكتئاب وألم نفسي، فعليها أن ترضيه بالمعاودة مطاوعةً له ومنسجمةً معه.

كما أن على الزوج الذي يلاحظ رغبةً من زوجته للمعاودة؛ أن يستجيب لها فيما إذا نال قسطاً جيداً من الراحة، وعلى الأخص فيما إذا لم تَنل حظها من اللذة في الجماع الأول بسبب عدم تهييجها، أو بسبب سرعة الإنزال لديه. وهذه الملاحظة يجب على الزوج مراعاتها حفاظاً على حق زوجته من المتعة الزوجية واللذة الجنسية.

كما أن على الزوجين أن يتنبّها لجميع الإحساسات القوية - أو ردة الفعل - في الممانعة أو في الكبح والإجبار، في العملية الجنسية، فإن الصدمات المفاجئة تؤثر على نبضات القلب، وحتى الحياء والخجل لدى العروس ليلة زفافها يؤديان إلى تمدّد في الأوعية الدموية، وبالمثل فإن الأعصاب المتصلة بالأعضاء التناسلية ليست بمناعة من آثار الإحساسات القوية، بل إنها أكثر تأثراً بها من أي عضو آخر من أعضاء الجسم، للرابطة الوثيقة التي تربطها بحالات الإنسان النفسانية وحياتها العاطفية.

ولذلك كان على الزوجين مراعاة كلٍّ لبعضهما بالتفهم العميق لحاليهما، وعدم اللجوء إلى الممانعة التي لا سبب لها، أو إلى الإجبار الذي لا مبرّر له. والحياة الزوجية مشاركة بين الزوجين لأحاسيس ومشاعر بعضهم البعض.

البحث السادس:

سرعة القذف وعلاجه

تُعدّ سرعة القذف حالة من حالات عدم الكفاية الجنسية وهي حالة يحدث فيها القذف أو الإنزال قبل أوانه، أي قبل أن يريد الرجل ذلك، أو قبل أن يفي بمتطلبات زوجته، ويقسم القذف غير الطبيعي إلى ثلاثة أنواع:

- القذف السريع: وهو حدوث القذف أو الإنزال بعد الدخول في المهبل في وقت أقل من المعتاد.

- القذف المبكر: وهو حدوث القذف بمجرد ملامسة العضو لفرج الزوجة.

- القذف المبكر جداً: وهو يحدث بمجرد تفكير الرجل في العملية الجنسية، أو عند المداعبة والتقبيل.

أما عن أسباب سرعة القذف فهي تنقسم إلى:

- أسباب نفسية: مثل التوتر، والقلق، والاضطراب العصبي، والخوف من الفشل في العملية الجنسية. وهذه الأسباب قد عرضتُها بشيء من التفصيل في معرض الحديث عن العجز الجنسي.

- وأسباب عضوية: مثل شدة حساسية أعصاب رأس القضيب وأي احتكاك به قد يؤدي إلى الانتصاب والقذف، والاختلاف في إفرازات الغدد الصماء، والتهاب أو احتقان البروستات أو الحويصلات المنوية أو مجرى البول الخلفي، كذلك وجود أورام التهابية في مجرى البول الخلفي والتقرّحات في هذه الأماكن.

هذا عن أنواع القذف غير الطبيعي أو السريع، وأسبابه النفسية والعضوية، أما العلاج فيجب الالتجاء فوراً إلى طبيب من أهل العلم والاختصاص، وحَذار من الأخذ بتوجيهات الأصدقاء أو الزملاء المتحذلقين في مثل هذه الأمور، لأن هذا قد يؤدي إلى نتائج مضادة تماماً.

ولقد وقفتُ على بحث في مجلة «طبيبك» فحواه:

أن القذف المبكر هو أكثر المشاكل الجنسية شيوعاً بين الرجال، وهو من أعظم أسباب الشقاء في الحياة الزوجية، إن معظم حالات القذف المبكر ناشئ عن ازدياد حساسية الجهاز الجنسي المبكر.. قد تكون الحساسية الشديدة جسدية، وعندها تحدث الرعشة بمجرد الاتصال. وقد تكون عاطفية، فالرجل الممعن في عاطفته، والرجل الذي يعاني شيئاً يسيراً من القلق فيما يتعلق بأمور

الجنس، كلاهما قد يكون غير قادر على تحمل عنفوان الإثارة الجنسية العنيفة إلا فترة زهيدة.

إن الشباب الحديث السِّن الذي يقذف قذفاً مبكراً بسبب الإثارة العنيفة، لا يعاني مشكلة حقيقية نظراً لأنه يستطيع أن يعيد الكرة بعد فترة وجيزة، والمعاشرة الثانية تستمر فترة أطول بصورة عامة.

أما بالنسبة لغيره من الرجال فالسعي مستمر في سبيل إيجاد الحلول.

وقد كانت المراهم المخدرة مفيدة بالنسبة لبعض الرجال، إذ يدهن العضو المذكر بها قبل المباشرة فيصبح أقل حساسية وقادراً على تحمل الاحتكاك الطويل. وقد اكتشف الدكتور جيمس أحد أساتذة الطب في جامعة ديوك طريقة لمعالجة سرعة الإنزال، وهي تتطلب من الزوجة أن تحرّض الذكر بيدها حتى يتولّد الإحساس عند الزوج بقرب حدوث القذف، فيشير إلى زوجته بأن تتوقف. وعندما يزول الإحساس تعيد الزوجة الكرة ويتكرر للتوقف بإشارة من الزوج.

إن تكرار هذه العملية يولد في نفس الزوج شكلاً معيّناً من الاستجابة الجنسية تصبح الإشارة فيه أمراً يمكن تحمله، ويصبح لديه عادة في ضبط نفسه، وبذلك يتأخر القذف، وسرعان ما يجد نفسه قادراً على تأخير القذف حسب رغبته.

البحث السابع:

اضطراب الوظيفة الجنسية عند الزوجين

ينسب الباحثون الضعف الجنسي وفتوره عند الزوجين أو أحدهما إلى عوامل عدة منها علل مرضية أو نفسية.

ومرجع العلل المرضية في ذلك يعود إلى ضعف الأعصاب أو قصور في عمل الغدد، وأكثر النتائج التي يمكن أن تعزى إلى الأعصاب هي الانحطاط العصبي والعقلي، والاختلالات الحادة في بعض الأعضاء.

والإعياء الناشئ عن الجهد العقلي سريع الزوال في العادة، وكثيراً ما يكون بين الذين يكون تفكيرهم منتجاً، أو بين الذين يمتهنون مهناً لا تتلاءم مع رغباتهم ولا تتفق مع أطباعهم.

والعمل العقلي بحدّ ذاته سبب ضعيف من أسباب الإعياء العصبي، في حين أنّ الهمّ والقلق اللذَيْن يساوران المشتغلين في المجالات العقلية والفكرية، مضافاً إليهما إهمال العناية بالجسد، الذي يُعوّض الصحة، ويسلب العافية، ويؤدي إلى الإعياء.

وإن الرجل الذي يؤدي عمله دونما همّ أو قلق نادراً ما يقع ضحية الإعياء العصبي. وأما الذي يعييه التعب بعيداً عن الهمّ والقلق، وهو يتوق اللجوء إلى الراحة فإنه سرعان ما يستعيد طاقته المفقودة.

والزوج المصاب بالعجز الجنسي الذي يعود إلى سبب «فيزيولوجي»، «عضوي» من مثل مرض في الخصيتين أو التهاب في «البروستاتة» «غدّة المثانة»، يجب أن يُعالج من قِبل طبيب مختص في المسائل والأمراض الجنسية، وهي معالجة صعبة ودقيقة، وإنما يتوقف نجاحها على طبيعة المرض وشدته أو خفته.

وأما العجز النفساني فيعود إلى اختبار ما في حياة الإنسان جعله يفقد الثقة في قوته الجنسية، ومثل هذا العجز ليس له أساس عضوي «مرضي»، بل إن أساسه فكرة معقدة أو ملازمة تعمل في أعماق النفس «العقل الباطن»، فالمصاب به يخشى أن يكون ضعيفاً جنسياً، أو يتوهم أنه كذلك، ويكون هذا الشعور في العادة سيئاً بحيث يطغى على قدرته الجنسية.

فالزوج المصاب بذلك عليه أن يُعيد نظره إلى لزوم التفكير باستعادة ما فقده من تلك الظنون والأوهام، وأن يجعل اهتمامه في التفكير بقدرته على ذلك، فهذا ما يجعله يتماثل إلى الشفاء شيئاً فشيئاً.

وكذلك قد يكون عجز الزوج عن القيام بـ«الجماع» مع زوجته قلّة اهتمامه بزوجته، أو من قلة اهتمامها بزوجها، فيحدث الفتور المؤدي إلى تسبب الضعف.

فعلى الزوجين إزاء هذه الحالة الطارئة أن يقوما بالعناية ببعضهما البعض؛ لإزالة أسباب هذه العوارض.

وهناك نوع آخر من الإحساسات التي تؤثر في قدرة الزوج الجنسية وتورثه عجزاً أو نقصاً، هو فيما إذا كان عضوه التناسلي صغيراً، فليس في هذا ما يستوجب فقد القدرة الجنسية إذا ما كان عضوه قادراً على الانتصاب، ولقد توجه الكثير من الأزواج إلى سؤال الأطباء عن آثار صغر العضو التناسلي، وأنه ربما يكون سبباً لعدم الإنجاب، فكانت إجاباتهم أن لا تأثير لذلك على عدم الإنجاب، وبالتالي لا تأثير على عدم القدرة على الجماع، إذا سلك الزوج مع زوجته أسباب التهيّج الجنسي لديه ولدى زوجته.

وهنا يلزم إيضاح أسباب عدم الإنجاب «العقم» لإزالة تلك التوهمات المؤدية إلى قلة الرغبة الجنسية التي تؤدي إلى الضعف.

إن سبب العقم عند الزوج يعود إلى أحد أمور أربعة:

الأول: انسداد في البربخ أو القناة الناقلة للمني، يمنع مروره عبر منفذه الطبيعي إلى رحم زوجته.

الثاني: فقدان النطف، أو ضعفها الذاتي.

الثالث: نقص في نمو الخصيتين، أو إصابتهما بأذى.

الرابع: مرض البروستاتة، أو الحويصلتين المنويتين.

كما يكون إرجاع عدم الإنجاب من الزوج إلى التهاب الغدة «النكافية» قرب الأذن، فإذا ما التهبت هذه الغدة - كما يحدث عادة للأولاد الكبار أو الرجال - التهبت الخصيتان وانتفختا. وقد يحدث العقم عند الكبار حتى ولو أصيبت هذه الغدة بالالتهاب في سن الصغر، وهذا ما يؤكد الصلة العجيبة بين الغدة «النكافية» وبين الأعضاء التناسلية. وهذا النوع يمكن شفاؤه بالمعالجة الطبية المركّزة. مع الإشارة إلى أن بعضه لا يمكن شفاؤه.

البرود الجنسي لدى الزوجين.

وإن مما يسبب البرودة الجنسية لدى الزوجة، عدم إثارتها من قبل زوجها قبل الجماع، فإن هذا يؤدي إلى الجماع المؤلم للزوجة، وهذا يؤدي إلى شكل من أشكال البرودة الجنسية لديها؛ فالمرأة الباردة اللامبالية تعبّر عن ثورتها على زوجها أو كرهها لجماعه لها بالبرودة وعدم الرغبة فيه، والزوجة التي تتألم عند الجماع يجب العناية بها عناية فائقة ولو أدى ذلك إلى عرضها على طبيبة أخصائية بأمراض النساء.

كما أن من أسباب البرود الجنسي لدى الزوج إحساسه بعدم رغبة زوجته في الجماع، كأن يراها متبذّلة غير متزينة له ولا متعطرة، فإن هذا من عوامل فتور الزوج عن الاهتمام بزوجته.

ولقد ذكر الباحثون أن ضعف الرغبة عند الزوج في جماع زوجته، أو ضعف الانتصاب لديه لا يكون بسبب مرضي[1] بقدر ما هو ناتج عن وجود المؤثر النفساني، فالزوج العادي يثير حافزه الجنسي وجود امرأته متهيئةً له متزيّنةً متعطرة، إذ يتلقّى جهازه العصبي بواسطة حواس البصر والشم واللمس والسمع؛ من المؤثرات الجنسية ما ينعكس فيحدث الانتصاب لديه والرغبة في جماع زوجته، وفي الوقت نفسه يُحدث هذا التهيؤ في نفس الزوجة ما يُحدث في نفس زوجها من حب اللقاء الجنسي العارم.

فعلى هذا.. فإنه يجب على الزوجة أن تكون شديدة العناية والاهتمام بنفسها والتحضير للقاء زوجها اللقاء الذي يجعله أكثر قبولاً لها وأشدَّ إقبالاً عليها، وأقوى انفعالاً بحبها والتعلق بها..

مرض العنانة الجنسية:

العُنّة مرض يُسبب العجز عن القيام بالجماع لعيب تكويني أو اكتسابي في

(١) أي مرض العِنّة، ويُعالج بهرمون الذكورة «التيستوستيرون» ومثيلاته.

أعضاء التناسل، أو لعدم انتصاب القضيب، أو لسرعة ارتخائه بالإنزال قبل الإيلاج أو بعيده فوراً. وهو من عيوب أعضاء التناسل الداخلية التي تنعكس آثارها على عضو التناسل. ومن العيوب التكوينية ضمور القضيب والخصيتين أو انعدامهما، وينجم منه الافتقار إلى إفرازهما الداخلي الذي يتوقف عليه انتصاب القضيب.

وثمة غدد صم أخرى يؤدي النقص في إفرازاتها أيضاً إلى عدم الانتصاب، وقد تنجم العُنّة من عدة أسباب أخرى؛ كالأمراض العصبية، وأمراض الكلى، ومرض السكر، والأمراض المزمنة المنهكة، وإدمان الخمر والمخدرات والإفراط في الجماع، والإجهاد في الأعمال الفكرية، والصدمات النفسية، والاضطرابات العاطفية، ومن أشهر أنواع العنّة العنّة النفسانية، وهي من اضطرابات نفسانية تحدث في مرحلتي الطفولة والمراهقة، وعلاجها يحتاج إلى طبيب مختص.

وأما الفتور الجنسي لدى الزوجات الطاعنات في السن، فيرجع لعدة أسباب، منها: فقد الزوجة لجاذبيتها الأنثوية، وانقطاع الطمث عنها، ونقص هرمونات الأنوثة، وحدوث سنّ اليأس، وجفاف المهبل وضموره وتشنّجه الناجم عن الألم لعدم مرونته بسبب نقص هرمونات المبيض، وجميع ذلك يحدث لدى الزوجة فتوراً جنسياً وعدم الرغبة في الجماع، وهذا يعكس على نفسية الزوج الآثار نفسها من البرود الجنسي وعدم الرغبة في الجماع.

وفي هذه الحالات تكثر الخلافات الزوجية لأتفه الأسباب، وهي تخفي وراءها كبتاً جنسياً للرجل يصعب على الرجل الإفصاح عنه في معظم الحالات، وخاصة إذا كان عمر الزوجين متساوياً، أو أن الزوجة تزيد على زوجها في العمر.

ومن الأمراض التي تؤثر على الزوج فتسبب له الضعف الجنسي تعاطيه بعض الأدوية التي تحدث اضطراباً في استقلاب الهرمونات الجنسية:

أ - الداء السكري: وهو يؤثر على استقلاب الأغذية بأنواعها فيحدث

اضطراباً في صناعة الهرمونات في الخصية، كما يحدث تصلباً في شرايين العضو التناسلي وتضيقاً، فيخف تدفق الدم إليه وتنقص صلابته عند العملية الجنسية، كما تتأثر الأعصاب وهي تؤثر على الأعضاء التناسلية فتنقص من فاعليتها.

ب - ارتفاع الضغط الشرياني وتصلّب الشرايين: يُعتبر ارتفاع الضغط الشرياني المتوسط والشديد، وإصابة الشرايين بالتصلّب العصيدي عاملاً هاماً في حدوث الضعف الجنسي. ومن جهة ثانية فإن معظم الأدوية التي تُعطى لمعالجة ارتفاع الضغط يؤثر على استقلاب هرمونات الذكورة، فتؤدي إلى العَنانة والضعف الجنسي، ومن هذه الأدوية المدرّات التيازيدية والسبيرونولاكتون، وأدوية الضغط كالمتيل دوبا.

ج - استعمال الأدوية المسكّنة للمفاصل، كمركبات الأندوميتاسين، ومثيلاتها، والمسكّنات العصبية.

د - الإصابة بخناق الصدر، والربو، واحتشاء العضلة القلبية.

هـ - الإصابة ببعض الأمراض التي تؤثر على الخصية كالنكاف، والإصابة بالفيروسات، وسلّ الخصية، ودوالي الحبل المنوي، ورضوض الخصية، وغيرها من الأمراض التي تؤثر على النسيج الخصوي وخلايا «لايدك» المفرزة لهرمونات الذكورة.

التدخين وآثاره الخطيرة على الغدد التناسلية:

تُصاب شرايين القضيب عند الزوج المدخن بالتصلّب؛ لذلك يضعف الانتصاب لديهم، ويحدث لديهم ضعف جنسي نتيجة نقص الأوكسجين في الغدد التناسلية.

ولقد أثبتت الإحصائيات الحديثة وجود علاقة وثيقة بين التدخين وتصلّب الشرايين، وأمراض القلب، وارتفاع الضغط الشرياني، والخطورة في ذلك عند زيادة التدخين يومياً.

والتدخين له علاقة وثيقة باحتشاء العضلة القلبية «الجلطة» المسبب للموت المفاجئ.

كما أن للتدخين آثاراً خطيرة على الحمل فيما إذا كانت الأم مدخّنة، حيث ينقص الأوكسجين في دم الجنين، كما يحدث تصلباً في العروق الدموية عند الجنين وعروق المشيمة، لذلك تكون وظيفة هذه العروق غير طبيعية، وكمية الدم التي تروي الجنين، وكذلك كمية الأوكسجين أقل من الطبيعي، فيحدث عند الجنين نقص في النمو، وقد يؤثر ذلك على بنية دماغه، فيكون الذكاء أقل من الطبيعي.

لذا.. يُنصح الزوجان بعدم التدخين، أو تخفيفه إلى أدنى حدّ نحو ثلاث سجائر في اليوم.

البحث الثامن:

البرود الجنسي وعلاجه

البرود الجنسي: هو حالة تكون فيها المرأة فاقدة للحساسية الجنسية، وعاجزة عن أداء دورها الطبيعي في عملية الجماع، وحالتها هذه تشبه حالة عجز الرجل، في كون الدم لا يملأ أعضاءها الجنسية. وامتناع الأوعية الانتصابية عن التصلّب، كما يظل بظرها كامناً... وغددها لا تفرز.. ومدخل المهبل جافاً، غير أنها تختلف عن الرجل في أنها تستطيع أن تشارك في العملية الجنسية، ولكن بطريقة آلية خالية تماماً من الفاعلية والإيجابية.

وللعلماء آراء مختلفة في أسباب البرود: فمنهم من يرى أن سببه دافع خفي، كظن المرأة (نتيجة للتربية السيئة) أن الجِماع خطيئة، ولو كان بطريقة مشروعة. ومن العلماء من يرى أن خوف المرأة من الحمل له تأثير في إيجاده، وقد يكون بسبب خلل في الوظائف الجنسية، وقد يكون السبب هذه الأسباب مجتمعة أو غيرها.

وعلى كل حال، فهي تشبه الأسباب التي تؤدي إلى عجز الرجل، ولذا فإن أساليب العلاج متشابهة إلى حدٍّ كبير.

فعلى الزوج - وهو الذي عليه العبء الأكبر في علاج زوجته - أن يدرس سمات وخصائص أعضاء زوجته طبعاً بطريقة مناسبة ولبقة، حتى يستطيع التمكن من معرفة المواضع الحساسة فيها واستثارتها، لأنه في الغالب لا توجد امرأة تفقد حساسيتها تماماً، وكل ما في الأمر أن المرأة المصابة عادةً لم تكتشف بعد طريقة استثارتها[١].

ولقد وضع السيد مرتضى الحسيني الزبيدي حلاً وعلاجاً عمليين لبرود المرأة في كتابه «إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين» للغزالي، فقال: «إذا كان الزوج سريع الإنزال والزوجة بطيئة. فعليه أن يطيل مداعبتها على الفراش، ويكثر من التزامها (حضنها)، ومصّ شفتيها، والعبث بثدييها، وتحسس أليتها، وأعلى ظهرها، وجنبيها، فإذا بَدَا عليها التغيّر دَلَكَ بظرَها برأس ذكره الهُوَيْنَى، ويستمر على هذه الحالة دون إيلاج، فإذا ارتعدت وتغيّر لونها وتقلّص وجهها، والتزمته، أولجه رويداً رويداً حتى يصل إلى الآخر، ويحركه داخلها بشدة دون إخراج، فإنه لا توجد امرأة بطيئة إلا أنزلت في هذه اللحظة».

هذا ما قاله الإمام مرتضى الحسيني الزبيدي، وهو يتفق مع المعارف الحديثة، إذ جاء بحث طريف في مجلة طبيبك تحت عنوان: «زناد الارتعاش عند المرأة» وتعني بذلك «البظر» وهو القسم الزائد من الفرج، ويقابل القضيب عند الرجل. وهو عضو غني بالأعصاب، له شبكة دقيقة من الأوعية الدموية الدقيقة إذا أثيرت باللمس أو التهييج الجنسي امتلأت بالدم وانتفخ البظر.

والبظر نقطة مركزية لإثارة المرأة من الناحية الجنسية ووصولها إلى رعشة

---

(١) يتوجب على الزوجة إزاء فتورها وضعفها الجنسي أن تسترخي وأن تستجيب للمثيرات من قِبَلِ زوجها بشكل حرّ، لتنال بذلك متعةً جنسية كافية. وللقلق أثره على عدم رغبة الزوجة بزوجها، وكذلك الحزن، ولذا فإن على الزوجة أن تُبعد عن حياتها عامل القلق والحزن، لتكون شريكة زوجها في السعادة الزوجية الكاملة.

الجماع. . وما دام البظر على مثل هذه الأهمية في حياة المرأة، فعلى كلِّ زوجٍ أن يُحْرز معرفة تامة بالدور الذي يلعبه البظر، وأن يتقن فنون قدرته أثناء المداعبة التي تسبق عملية الجماع، فلا بد من الاهتمام بالبظر قبل الإيلاج لتستكمل المرأة شَبَقَها الجنسي.

وإثارة البظر يجب أن تكون بكل لطف، لأن هذا العضو حسَّاس جداً إلى درجة يكاد لا يصدقها العقل. إن معظم الزوجات الطبيعيات يرحبن بمداعبة البظر قبل الجماع، وقد يكون من المستحب استئناف مداعبة البظر عقب الجماع لاستكمال اللذة عند المرأة، إذ ربما لا تكون قد استنفدت لذتها. ويحدث أحياناً أن يسبق الرجل فيقذف وتبقى المرأة شَبِقة متهيّجة، فيتركها الرجل وحالها تعاني توتراً في الأعصاب كما يفعل كثيرون من الأزواج القُساة. .

يجب على هؤلاء أن يتريَّثوا حتى تقضي الزوجة حاجتها وتهدأ، فقد رُوي في الحديث أنه: «**إذا جامع أحدكم أهله (أي زوجته) فليصدقها، ثم إذا قضى حاجته قبل أن تقضي حاجتها فلا يُعَجِّلها حتى تقضي حاجتها**»[1] وعلاج البرود عند المرأة لا يقع كل أعبائه على الرجل فحسب، بل للمرأة ذاتها دور هام وحيوي.

ولا شيء أضمن للسعادة الزوجية ولا آمن على رجولة وإخلاص الزوج، غير خبرة الزوجة في فنّ الحب، والوِفاق الذي يتمّ في الليل نادراً ما تزول سعادته في وضح النهار، لذلك على المرأة أن تذعن وتصبر بسهولة، وأن تزيل الحواجز التي حصَّنَتها في صغرها، وأن تستسلم لكل الهِيَاجات الجنسية التي ترافق الحياة الزوجية، دون أن تنسى أن الأجهزة العصبية لا تقوم بوظائفها فوراً طالما كانت راقدة قبل الزواج. بل إنها تنشط وتزداد حساسية مقتربة من الهدف

---

(١) أخرجه الحافظ السيوطي في جمع الجوامع برقم ١٦١٦، وذكره الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في إرواء الغليل ج ٧/ ٧٣، وقال: إسناده ضعيف. وذكره الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٤/ ٢٩٥، وقال: في عزوه له: رواه أبو يعلى، وفيه رَاوٍ لم يُسَمّ، وبقية رجاله ثقات.

كلما تكرر الجماع، وعليها أن تكتشف الأوضاع والهياجات التي تثيرها أكثر من سواها، وأن تحاول التمرن على انقباضات المهبل وألعابه الموزونة كي تسهل الرعشة الكبرى مع زوجها.

وقد لا تنجح التجارب الأولى، غير أن الممارسة المستمرة ستحسّن النتيجة بالتدريج، فتزداد سرعة رعشتها، ويأتي يوم تشرق فيه السعادة على البيت الزوجي، إذْ تجد المرأة نفسها موازية لشهوة الرجل وسائرة معه جنباً إلى جنب... ﴿وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾[1].

البحث التاسع:

أزمات الزوجة أثناء دورتها الشهرية

يحدث للمرأة أثناء فترة الحيض كثير من التغيرات الجسمية والنفسية، مما يكون له أبلغ الأثر في تصرفاتها وسلوكها، وقد يصدر منها بعض الأفعال وردود الأفعال التي لا ترضى عنها حين تتطهر من حيضها.

وعلى الزوج أن ينتبه لهذا الأمر ويضعه في حسبانه، فيعامل زوجته برفق ولين في هذه الفترة أكثر من أي فترة أخرى، ويتحمل بعض تصرفاتها التي يأباها ما وجد إلى ذلك سبيلاً، حتى تمر هذه الفترة الشهرية في سلام وهدوء كاملين.

وهاكم بعض التغيرات التي تطرأ على المرأة في مدة حيضها، والتي توصل إليها علماء الأحياء والتشريح:

١ - تقل في جسمها قوة إمساك الحرارة، فيزداد خروج الحرارة منه، وتنخفض درجتها.

٢ - يبطؤ النبض، وينقص ضغط الدم ويقل عدد خلاياه.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٢١.

٣ - تصاب الغدد الصماء واللوزتان والغدة اللمفاوية أيضاً بالتغير.

٤ - ينتقص الاستقلاب الهيوليني.

٥ - يقل إخراج أملاح الفوسفات والكلوريد من الجسم وينحط الاستقلاب الغازي.

فيشعرن له بضربات عنيفة، وفي البعض تتورم الغدة الدرقية في هذه الأيام، مما يسبب فيهنّ البحة، وكثيراً ما يُصَبن بفتور الهضم وجهد التنفس».

وتشعر بعض النساء بدنوِّ الحيض من بعض الدلائل الجسدية والنفسية، ومنها الآلام الواخزة في البطن، والإعياء، وثقل ما فوق العينين، والإسهال والانحطاط إذا تملكهنّ مغصٌ أو قيء أو دوّار أو إغماء أو توعّك أو هذيان. وفي أحيان أخرى قد ينشأ عن أسباب جسدية، فعند الفتيات البالغات تنقبض وترتجف الألياف العضلية المتصلبة في أرحامهنّ والتي لم تنمُ بعد، فتسبب لهن آلاماً شديدة، كما أن انقلاب الرحم هو قابل للتأثر بآلام الحيض... ولقد نظر المنهج الإسلامي الحكيم بعين الاعتبار لهذه التغيرات التي تعتري المرأة في أثناء فترة الحيض، فحظّر على الرجل طلاق زوجته في أثنائها؛ لأنه قد يكون ذلك نتيجة انفعال وقتي تحت تأثير هذه الفترة المعنيّة. إذ يروي الحفاظ أن ابن عمر رضي الله عنهما طلَّق امرأته وهي حائض فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «**يا ابن عمر، ما هكذا أمرك الله، قد أخطأت السّنة، السنّة أن تستقبل الطُّهر**»، أي لا تُطلِّق زوجتك وهي حائض.

٦ - يختل الهضم، ويقل التحام الشحم والأجزاء الهيولية في المأكولات مع أجزاء الجسم.

٧ - تضعف قوة التنفس وتصاب آلات النطق بتغيرات خاصة.

٨ - يبلد الحس وتتكاسل الأعضاء.

٩ - تتخلف الفطنة والذكاء وقوة تركيز الأفكار.

وكل هذه التغيرات تدني المرأة الصحيحة إلى حالة المرض إدناءً يستحيل

معه التمييز بين صحتها ومرضها. ففي مائة من النساء الحوائض لا تحيض إلا ثلاثة وعشرون بلا وجع أو ألم.

وبحث الباحثون ذات مرة في أحوال (١٠٣٠) امرأة فوجدوا أن ٧٤٪ منهن كن يقاسين الوجع وغيره من صنف الأذى أيام حيضهن.

وإن ما يعهد من الحوائض عامة من الأعراض هي: الصداع، والتعب، والخلج وضعف الأعصاب، وتخلف المزاج، واضطراب المثانة، وسوء الهضم والإمساك أحياناً، والغثيان في بعض الحالات، وهناك نساء لا يستهان بعددهنّ يحسسن في صدورهن وجعاً خفيفاً يشتد أحياناً. كل ذلك من آثار الدورة الشهرية لدى النساء.

البحث العاشر:

تحريم الجماع مدة الحيض[١]

عن أنس بن مالك أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة منهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوها في البيوت، فسأل أصحاب النبي ﷺ فأنزل الله عزوجل: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[٢]، فقال رسول الله ﷺ: «**اصنعوا كل شيء إلا النكاح**»[٣]. وفي لفظ إلا الجماع. وعلى تحريم وطء الحائض إجماع المسلمين استناداً لنص القرآن العزيز والسنة الصريحة. فمستحله كافر، وغير المستحل إن كان ناسياً أو

(١) الطب النبوي والعلم الحديث: للدكتور محمود ناظم النسيمي ج ٢/١١٣ - ١١٨، ط. مؤسسة الرسالة - بيروت.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه برقم ٣٠٢، في كتاب الحيض باب رقم ٣.

جاهلاً لوجود الحيض أو جاهلاً لتحريمه أو مكرهاً، فلا إثم عليه ولا كفارة. وإن وطئها عامداً عالماً بالحيض والتحريم مختاراً فقد ارتكب معصية كبيرة، نصَّ على كبرها الشافعي، ويجب عليه التوبة، والكفارة.

أما المباشرة بأن تلمس بشرة جلد الرجل جلد المرأة الحائض، فهو حلال فيما فوق السرة وتحت الركبة باتفاق العلماء. أما المباشرة فيما بين السرة والركبة في غير السوأتين فلقد اختلف المجتهدون والفقهاء في تحريمها وأكثرهم يحرمها استناداً إلى ما ورد عن حزام بن حكيم عن عمه أنه سأل رسول الله ﷺ: ما يحل لي من امرأتي وهي حائض؟ قال: «**لك ما فوق الإزار**» وقد خصصوا بهذا الحديث عموم قوله عليه الصلاة والسلام. «**اصنعوا كل شيء إلا النكاح**» رواه مسلم.

ومن وقع في معصية وطء زوجته الحائض فعليه التوبة والاستغفار، وذهب بعض الفقهاء إلى وجوب الكفارة، وذلك بأن يتصدق بدينار أو بنصف دينار، وبهذا قال ابن عباس وقتادة والأوزاعي وإسحاق وأحمد. وحجتهم ما ورد عن ابن عباس عن النبي ﷺ في الذي يأتي امرأته وهي حائض قال: «**يتصدّق بدينار أو نصف دينار**» وفي رواية لأحمد: «أن النبي ﷺ جعل في الحائض تصاب ديناراً، فإن أصابها وقد أدبرَ الدم عنها ولم تغتسل فنصف دينار»[1].

الحِكَم الصحيّة:

إن للاعتزال الجنسي مدة الحيض مبررات بدنية ونفسية في كلا الجنسين وخاصة عند المرأة.

أولاً - عند المرأة:

١ - إن احتقان الأعضاء الجنسية الخارجية والداخلية في فترات الحيض يجعلها أكثر حساسية وأسرع تعرضاً للتسلخ والالتهاب، خاصة إذا وجد عدم التناسب بين أعضاء الرجل والمرأة أو استعمل الرجل ضراوته نتيجة تهيجه.

---

(١) هذا الحديث ضعيف، انظر: ضعيف الجامع الصغير رقم ٥٣٢٥، والأحاديث الضعيفة رقم ٤٥٢٩.

٢ - إن معظم الجراثيم ترحب بالوسط الذي تتيحه إفرازات الحيض حيث إن الدم يجعل وسط المهبل معتدلاً أو قلوياً بعد أن كان خافضاً فتتكاثر بسرعة عظيمة ونشاط عجيب، وذلك حال الجراثيم الكامنة في أعضاء المرأة والرجل والجراثيم التي تدخل من الخارج أثناء المباضعة.

وإضافة إلى ذلك فإن مقاومة المرأة للأمراض تنقص إلى حدها الأدنى أثناء الحيض. وكثيراً ما يستفيق في الطمث التهاب كامن في أعضاء المرأة الجنسية، ويزيد في إمكانية ذلك وفي اشتداد الالتهاب حدوث المباضعة وقت الحيض.

٣ - إن التهيّج المرافق للمناسبة الجنسية يزيد في احتقان وتوارد الدم إلى الأعضاء الجنسية. وقد يؤدي ذلك إلى النزف الطمثي الشديد لا سيما إذا كان في الأعضاء التناسلية ورم أو التهاب، وقد يؤدي إلى زيادة ألم الطمث، فإذا كان عند المرأة ميل للنزف الطمثي أو لاشتداد آلام الطمث، فعلى بعلها أن يمتنع حتى عن الاقتراب النفسي والملاعبة الزائدة.

٤ - يتقلص الرحم أثناء الارتعاش الجنسي عند المرأة ثم يرتخي مرتشفاً محتويات المهبل من مني ومفرزات وما تحوي من جراثيم، وقد يؤدي ذلك إلى التهاب البطانة الرحمية أو التهاب الملحقات، خاصة وأن أعضاء المرأة الجنسية تكون أكثر استعداداً للالتهاب في فترة الحيض.

٥ - إن التوعّك والآلام والحالة شبه المرضية أو المرضية التي تصيب كثيراً من النساء في فترة الحيض، تجعل المرأة غير مستعدة نفسياً للمناسبة الجنسية في ذلك الظرف على الغالب خاصة وأنها تشعر في تلك الفترة بالهبوط والضيق والزهد.

٦ - وإذا كانت المرأة على استعداد نفسي للمناسبة الجنسية أثناء طمثها فلتذكُر أنها معصية لله تعالى، وأن أغلبية الرجال يشعرون بالاشمئزاز والنفور من الرائحة الشهرية المرافقة للطمث. وقليل منهم الذين يشعرون ببهجة وانجذاب.

إن شم هذه الرائحة الشهرية لا يقتصر على منطقة الأعضاء الجنسية، بل تمتد في معظم النساء إلى إفرازات الجلد والنفس. فالذوق الفني الجميل يهيب

بالمرأة أن تأخذ حذَرها في فترة الطمث من إثارة اشمئزاز زوجها، لتظل بهيجة في نظره محببة إلى نفسه وليزداد شوقه إليها بعد هذه الدورة الشهرية.

ثانياً - عند الرجل:

١ - إن النفور والاشمئزاز الذي يعرض للرجل من الرائحة الشهرية ومنظر الدم السائل قد يؤدي به إلى برودة تجاه زوجته.

٢ - قد يحدث عند الرجل التهاب الإحليل بعد البِضاع في أثناء الطمث بتسرب مفرزات الحيض إليه، وعوامل هذا الالتهاب جراثيم مختلفة قد تكون كامنة في أعضاء المرأة التناسلية فتعود إلى نشاطها وحيويتها أثناء الطمث. وقد تصل جراثيم التهاب الإحليل إلى سائر الجهاز البولي التناسلي فتسبب في بعض أقسامه التهاباً قد يزمن.

٣ - إن الجماع في أثناء الحيض إسراف من جانب الرجل في وقت مقطوع فيه بعدم حدوث الحمل، وهو الغرض الأسمى من الجماع، والحيض على كل حال يمكن اعتباره فترة استجمام للرجل أياً كانت قوته، يكون بعدها أشد رغبةً في الجماع وأكثر لذّة فيه.

إن تلك الأضرار التي قد تلحق بالمرأة أو الرجل من جراء المباضعة وقت الحيض هي الأذى المذكور في قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾[1]، أي يسألونك عن إتيان النساء أثناء حيضهن فقل لهم: إن ذلك أذى وضرر فابتعدوا عنه.

ذكر الله جل وعلا ذلك بأسلوب عال لطيف، ونزلت هذه الآية قصداً بين ما يفعله العرب في المدينة وما حولها، وما يفعله اليهود من إفراطهم في مجانبة النساء في أثناء الحيض فلا يجالسونهن ولا يؤاكلونهن، وبين النصارى الذين لا يتحرجون من إتيان نسائهم في الحيض. وبما أن المرأة غالباً ما تكون في أيام الطمث عديمة الرغبة بالجماع أو نافرةً منه، وبما أن الرجل هو العنصر الفاعل

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.

في المناسبة الجنسية اقتضى ذلك توجيه الخطاب إلى الرجال: ﴿فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ﴾.

إن الحكم الصحية التي ذكرتها في اعتزال النساء في المحيض ينطبق معظمها على اعتزالهن في النفاس.

متى تحل؟

لا يحل وطء الزوجة التي ينتهي حيضها حتى تطهر بغسل إن أمكن أو تيمم إن لم يمكن الغسل، لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾[1]. ولرواية أحمد السابقة، وبهذا قال الشافعية والمالكية والحنابلة وزفر من الحنفية. أما باقي الحنفية فيفصلون ويقولون: يحل قربان المرأة إذا انقطع دم الحيض لأكثر من مدته وهي عشرة أيام عندهم بدون غسل، فإن انقطع الدم لأقل من ذلك فلا يحل قربانها إلا بغسل أو بمضي وقت الصلاة الذي انقطع فيه الدم، فإذا انقطع الدم في أول الوقت أو أثناءه لم يحل قربانها إلا إذا انقضى ذلك الوقت بتمامه وصارت الصلاة ديناً في ذمتها، أما إذا انقطع في آخر الوقت، فإن كان باقياً منه ما يسع الغسل والتحريمة حلّ قربانها بانقضائه وإن لم يبق منه ما لا يسع ذلك فلا يحل إلا بغسل أو انقضاء وقت صلاة أخرى. ويحتجون لتفصيلهم بقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾[2] بالتخفيف والتشديد، فمعنى التخفيف حتى ينقطع حيضها فحملوه على العَشَرة وهو أكثر مدة الحيض عندهم، ومعنى التشديد يغتسلن فحملوه على ما دونها عملاً بالقراءتين، ولأن ما قبل العشرة لا يحكم بانقطاع الحيض لاحتمال عدم الدم فيكون حيضاً فإذا اغتسلت أو مضى عليها وقت الصلاة دخلت في حكم الطاهرات.

وذهب ابن حزم إلى أنها إذا طهرت من حيضها أو انقطع الدم عنها، جاز له وطؤها بعد أن تغسل موضع الدم منها فقط أو تتوضأ أو تغتسل أي ذلك فعلت جاز له إتيانها.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.

وروى ابن حزم عن عطاء وقتادة قالا في الحائض إذا رأت الطهر فإنها تغسل فرجَها ويصيبها زوجها.

وروى عن عطاء: أنها إذا رأت الطهر فتوضأت حلَّ وطؤها لزوجها. وروى ابن المنذر عن مجاهد وعطاء قالا: إذا رأت الطهر فلا بأس أن تستطيب بالماء ويأتيها قبل أن تغتسل.

البحث الحادي عشر:

مضار الفواحش والفوضى الجنسية

١ - إطلاق العنان للرغبات الجنسية في ممارسة شهواتها يؤول إلى أضرار تلحق الفرد والمجتمع.

تحدث الأضرار التي تلحق الفرد من استغراقه في الشهوات واستعبادها له بحيث تصبح شغله الشاغل وهمه المقعد المقيم، فتصبح بعد فترة جوعة دائمة لا تشبع ولا تستقر ومعنى ذلك أنه أضحى أسير هوى جنسي، والأهواء الجنسية أشد الأهواء خطراً وأقلها نفعاً باعتراف علماء النفس[١].

هذا وإن الفواحش لهي السبب الرئيس للعَدوى بالأمراض الزهرية تلك الأمراض التي تنتشر غالباً عن طريق المباشرة الجنسية غير المشروعة، وهي السيلان البني «التعقيبة»، والداء الإفرنجي والقرحة اللّينة، والداء اللنفاوي الحبيبي الزهري «داء نيكولا وفافر» والنمو البلغمي الالتهابي الجنسي، كما أن الفاحشة قد تكون سبباً بانتقال الالتهابات الأخرى من جهاز تناسلي إلى سبيل آخر. وأخطر الأمراض التي تتفشى عن طريق الفاحشة مرض «الإيدز» المميت.

وفي الإصابة بتلك الأمراض تعطيل عن العمل وصرف للأموال في

(١) الطب النبوي والعلم الحديث: للدكتور محمود ناظم النسيمي ج ١/ ١٢٣ - ١٢٥، ط. مؤسسة الرسالة - بيروت.

التداوي، وفي ذلك خسارة للفرد والمجتمع. وإضافة إلى المضار السابقة العامة في أنواع الفواحش فإن اللواطة تزيد على الزنى بالمضار التالية:

١ - عدم ميل الفاعل المعتاد على اللواط إلى زوجته، وقد يقدم على طلاقها أو يحاول الشذوذ وإتيانها في الدبر عاصياً أمر الله ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾[1] وغالباً ما تطلب زوجته التفريق بينهما. وإذا كان المعتاد على اللواط عازباً فقد لا يتزوج إلا خوفاً من كلام الناس.

٢ - أما اللواط به فإنه يتعرض لتوسع الشرج وارتخاء المصرة الشرجية، وقد يصاب بسلسٍ غائطي؛ أي بخروج البراز بشكل لا إرادي. وقد يُصاب بالانعكاس النفسي فتشبه تصرفاته وحركاته ما هو خاص بالنساء.

وكما أن الهوى الجنسي وما يسببه من اندفاع نحو ارتكاب الفواحش، وكذلك الشذوذ الجنسي ضارّان بصحة صاحبهما الجسمية والنفسية، فإنهما يلحقان الضرر بالمجتمع نتيجة إفسادهما بعض أفراد الأمة لإرواء النهم الجنسي والشذوذ الجنسي، فتشيع الفواحش، تلك المعاول الهدامة للمجتمع.

أما الأضرار الأخرى التي تلحق المجتمع من جرّاء شيوع التعلق بلذة التمتع الجنسي وتيسر الوصول إليه فهي عزوف الشباب الفاسق والشابات الفاسقات عن الزواج الشرعي وتهربهم من مسؤولية بناء الأسرة لبنة المجتمع.

وهي أيضاً استنفاد الطاقة الحيوية التي خلقها الله تعالى لأهداف شتى في هدف واحد قريب، وإهمال الأهداف الأخرى الجديرة بالتحقيق فضلاً عن تحطيم كيان الأسرة وفك روابط المجتمع وتحويله إلى جماعات متفرقة لا يجمعها رابط ولا هدف مشترك.

إن تدمير الأخلاق في العالم بإثارة الغريزة الجنسية هو هدف من أهداف الصهاينة، فلقد قالوا في بروتوكولات حكماء صهيون: «يجب أن نعمل لتنهار الأخلاق في كل مكان فتسهل سيطرتنا... وقالوا: إن فرويد منا وسيظل يعرض

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.

العلاقات الجنسية في ضوء الشمس لكيلا يبقى في نظر الشباب شيء مقدّس ويصبح همُّه الأكبر إرواء غرائزه، وعندئذ تنهار الأخلاق».

أفيجوز لعاقل بعد هذا البيان أن يتناسى مضار الفواحش والفوضى الجنسية، وهي مضار كثيرة الحدوث ملموسة الآثار تلحق الفرد والمجتمع، ثم يتستر بعد هذا بمضار الكبت، وهذه لا تحدث إلا نادراً في الحالات الشديدة من الكبت وعند بعض ذوي النفوس الضعيفة فقط.

ولا يغيب عن أذهاننا ما جرَّه الشذوذ الجنسي، والفوضى الجنسية على مجتمعات الغرب من أخطار المرض الفتّاك القاتل «الإيدز»، وكفى بذلك عبرة.